

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190453

UNIVERSAL
LIBRARY

صديقي رينان !

قصة عصرية

تأليف

هسيب سوقي

صديق رينان

عرف رينان في سنة ١٩١٦ مدينته « برتلونه » في اسبانيا
وكنيت أقيم فيها مع أسرتي مدة الحرب العالمية ، قدمناها على أثره في
والدي من مصر في ذلك الحين !...

كننا ، رينان وأنا ، في مدرسة اسمانية ، في فصل واحد ،
ولكن معرفتنا وقتئذ لم تتعد تحية المجاملة للزمالة في الفصل . ولم تتم
بيننا الصداقة الا بعد وقوع حادث مكدر اثناء درس اللغة الألمانية
وأستاذها رجل ألماني مولع بالنظام الى حد الشذوذ ، اذ كان ضابطاً
في حرس القيصر ، ولم يكن تدقيقه قاصراً على نظام الفصل فحسب
بل تعداه الى تهجي الكلمات ونطقها فتصادف ان طالباً أراد اثناء
القراءة أن يدقق في نطق كلمة ترضية لأستاذه ولكن الأستاذ حمل
عمله على محمل السخرية ، فأمره بالخروج من مقعده وبالوقوف قريباً
من منبره ، فما كان من رينان ومنى الا أن ضحكنا عن غير قصد في
وقت واحد وبصوت عال ، فنالنا منه العقاب نفسه . وبينما نحن

الثلاثة وقوف الى جانب الأستاذ إذ برينان يتبادل الاشارات مع طالب آخر من المقاعد الأولى فلمحه أستاذنا فصغعه على خده فنظرت لرينان وقد وضع كفه على الخد للصفوع وابتسمت فأدركتني أنا كذلك يد الأستاذ الغليظة ! .

ومنذ ذلك الحين بدأت صداقتي مع رينان ، فنقلت في اليوم التالي أدواقي الى مقعد خال بجانبه : فانظر الى التجاذب كيف يبعثه أنه الأمور ! .

كان رينان رجلا صغيراً ، كايمبر الفرنسيون ، في الثالثة عشرة ، من أسرة فرنسية نبيلة ، يبدو كرم محتده على عحياء الدقيق ، ومن مشبهه النبيلة وما اشتمل عليه خلقه من تهذيب موروث غير متكاف فيه .. وكان خجولا ، هادىء الطبع ، قليل الكلام يميل الى العزلة مما كان يدعو زملاءه الطلبة الى أن يصفوه بالكبر وهو برىء منه ، إذ كان الصمت والعزلة من طباعه ، ولكن رغم هذه الأقاويل كان رينان موضع تقديرهم واحترامهم ! .

كانت أسرة رينان قد هاجرت باريز منذ سنوات حرصاً على

كرامتها ، أثر ضياع القسم الأكبر من ثروتها في مصاربات مالية ..
غير موفقة !

وكانت هذه الأسرة تتألف من رينان ووالديه ! .
كنا ، رينان وأنا ، على وفاق تام من حيث ميولنا وعاداتنا ،
فقد كان كل منا مولعاً بالسينما وجمع طوابع البريد وكان ذلك غرامنا
الوحيد في أوقات الفراغ ..

أما ميدان الحب فقد كنا نجمل في ذلك الوقت ضروبه ومعاوره
اللهم الا بعض غزوات مضحكة كنا نقوم بها هنا وهناك تقليداً لما
نشاهده في دور السينما !..

وكما كان كل منا يسيطر الآخر مسراته وملاهيته كانت هموم
كل منا موزعة بيننا على السواء ، ولكن هل للطفولة السيدة
هموم ؟ أليس من المضحك أن يكون من أسباب حزننا في ذلك
الزمن عجز ميزانيتنا الخفيفة عن شراء طابع بريد مكمل لسلسلة في
المجموعة ؟ أو احتجاجنا عن دور السينما - أثناء الامتحانات - بينما
تمثل فيها رواية لشارلي العظيم ؟

أما معاملة أستاذ الألمانية الخشن فقد تغيرت بعد ذلك الحادث بل بالعكس صرنا «مغمرين» بمطفه وسط حسد سائر التلاميذ ، فهل كان لوخر صميره نصيباً في هذا التغيير ؟

ولما قعدنا بعد ذلك مع طلبة الفصل الى حمامات البحر في أول الصيف كأنهم عناية هذا الأستاذ بنا ، وهو في الوقت نفسه أستاذ التربية البدنية ، عناية كبيرة الى درجة أننا - رينات وأنا - كننا أول من تعلم السباحة من بين التلاميذ !

مضت ثلاث سنوات ونحن على هذه الحال من الغبطة والسرور : لاهين لاعبين تملأنا الطمأنينة للحياة ، واثقين بالعريضة عند مبيتنا كل ليلة من استقبال الصباح في اليوم التالي ..

ولكن كما أن لكل حزن نهاية ، فلكل سرور نهاية ، فقد قدر أن نفترق إذ رأت أسرة رينات أن يسافر الى فرنسا لاتمام دراسته العليا هناك حتى يتيسر له عند إتمامها أن يلتحق بالسلك اتشياسي بواسطة أحد أقاربه - وهو عمه - الذي كان يشغل وقتئذ منصباً كبيراً في وزارة الخارجية ..

سافر رينان الى باريز تاركا إياي في أشد حالات الحزن والألم
لأنه كان صورة من شخصي ، تلك التي فطن إليها المصريون القدماء
وعبروا عنها بالكاء^(١) ..

وقد بعث الى رينان بخطاب لدى احتيازه الحدود الفرنسية
بكرّر فيه تحيته ويجدّد صداقته ، فأجبتّه على الفور بخطاب في مثل
هذا المعنى مدفوعاً بحماسة الصبا حتى أن خطابي أدركه في باريز بمجرد
وصوله إليها !.

ثم توالى المراسلة بين رينان و بيني ، وكانت متواصلة في أول
الأمر حتى اذا جاءت سنة ١٩١٩ التي عدت فيها مع أسرتي الى مصر
انقطعت بيننا المراسلة .. فاذا كان للصبا مزايا فمن سيئاته لا شك
سرعة النسيان !....



قضيت بعد ذلك ثلاث سنوات في مصر لم أسمع خلالها شيئاً

(١) في الديانة المصرية القديمة تكون الكاء (ك) نسخة طبق الأصل من الشخصية
التي تمحركها غير أنها من مادة أقل كثافة.

عن رينان ، إلى أن حانت سنة ١٩٢٣ فسافرتُ فيها إلى باريز لتلتقى العلوم القانونية ، فكان طبيعياً وقتئذ أن أفكر في رينان وأن أسرّ لفكرة لقائه رغم جهلى عنوانه أو صعوبة الوصول الى لقائه في مدينة عظيمة مترامية الأطراف كالعاصمة الفرنسية ، ولكن ثقي كانت كبيرة في الصدفة أم الأعاجيب !...

في أيامى الأولى بباريز لم أفكر في رينان ولا في غيره ولا في الدراسة نفسها إذ كنت مفتوناً بباريز التي سُميت بحق عاصمة العالم لما احتوته من مبان تاريخية رائعة شيّدت في زمان ملوكها العظام ، ومتاحف جلييلة ، ومتنزهات بديمة ، وضواح فتّانة ، ودور راقية للتمثيل ، وأما كنّ للهو والسرور قد تعرق فيها أشجان الاسانية كلها .. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي زرت فيها باريز ، إذ أن أسرتى أتت بي إليها طفلاً قبل الحرب الكبرى ، فلا أذكر شيئاً بطبيعة الحال عن تلك الرحلة ، إذ لم يكن مرورى بباريز وقتئذ إلا كمرور بضاعة « الترانزيت »^(١) ..

كنت ذات ليلة أسير وحيدا في شارع « الشانزليزه » الفخم
ولا غاية لي الا التخلص من النوم فاذا بأنوار مرقص « الأمباسدور »
الرائع تجذني اليه مسلوب الارادة كما يحذب العراشة نور الصباح فاذا
بي اقبال رينان هناك وحها لوجه بعد تلك الغيبة الطويلة . . كان
رينان جالسا الى مائدة كبيرة تقرب من المكان المعد للرقص في محبة
مرحة لفتني اليها على الفور لدى دخولي ضجيجها المرتفع المتواصل
من ضحك وهتاف ومع ذلك عرفت ناعث هذا المرح عند ما شاهدت
زجاجات الشمبانيا المعثرة هنا وهناك على المائدة فالخمر وان كان
ينسب المرء اليها بعض نزواته وسقطاته فهي أيضاً عون الصديق في
التخلص من تكاليف المجتمع . . بل والحياة ! . . . وكانت محبة رينان
هذه مكوّنة من سيدتين مناقتين من محترفات الرقص بذلك المكان،
احدهن في منتصف العمر والاخرى في خريف الشباب ، وأربعة
فتيان في ريعان الصبا منهم، رينان يلبسون لباس السهرة الفراء
لسا ينطوى على كثير من سلامة الذوق . .

عرفت رينان حالا اذ لم يتغير شكله قط سوى ان جسمه قد
استطال قليلا ، ولم أكد أمد اليه يدي حتى ضمتني الى صدره ثم

أجلسني بجانبه وقدمني الى صحبه وناولني كأساً من الشمبانيا في حماس
من اختلط بدمه ذلك السائل المهبج وقال :

أنت تريد لاشك أن توحه إلى استجواباً طويلاً أليس كذلك ؟
أرجئه للغد ! پروزيت (١) ! ثم أفرغ كأسه في فمه دفعة واحدة ! اعد
ذلك سحب احدى السيدتين من يدها وتوحه بها الى حلبة الرقص
وجعل يراقصها كالعتوه عبداً لحواسه تحرره كما تشاء ..

وكانت موسيقى «الجاز» المجنونة تزيد هيام الراقصين بأوامرها
الصاخبة المبرولة .

واستمرت الحفلة بين اللهو والسرور ، وكلما أمتع الليل كثير الاعمط
وازداد حماس الراقصين الى ان تحول رقصهم الى وهاء هوحاء تفنعت
منها رائحة الأجسام المعطرة ..

وحوالى الساعة الثانية صباحاً أحسست تعب من الصوصاء التي
تحوطني فانسللت من الرقص بعد ان حصلت على عنوان رينان من
أحد رفاقه حتى استطيع أن ازوره واتحدث اليه في ظرف أحسن

مناسبة .. مما كنا فيه ! .. كنت أفكر بطبيعة الحال وأنا في طريقي الى الفندق ، في تلك المصادفة العجيبة ! ولقد أدهشني تغير خلق رينان اذ عهدي به مذ كنا في « برشلونه » هادئا وديعا لذلك تسككت في ان مرح رينان المبالغ فيه ، كان في تلك الليلة . رحا مصطنعا وانه حتما يخفى وراء هذا السرور المبالغ فيه كما هي العادة في مثل هذه المواقف التي كثيراً ما شهدناها ونشاهدها على الشاشة البيضاء ..

في اليوم التالي توجهت الى حي « موبارناس » حيث يقيم رينان في احدى العمارات المشيدة حديثاً ، ذلك الحي الذي ازدحم في السنوات الأخيرة وحل محل حي « مونمارتر » في ايامه الليل .. مسكن رينان في الدور الثاني وهو عبارة عن شقة صغيرة جميلة على الطراز الحديث ، محمية البناء ، تكفل دخول الشمس بمقدار وافر كلما طلعت الشمس كذلك كان الأثاث من الطراز الحديث فتشاهد هنا وهناك مقاعد مريحة بسيطة الزخرف ، مصنوعة من النيكل حتى يُغَيَّل اليك ان الدار عيادة طبيب ! .

وكنت ترى الجدران تزيينها بعض الصور الحديثة التي يتعذر تمييزها لاهام راسمها ! .

وتدخل طائفة غير منظمة من المثلثات والمربعات بعضها في بعض ، فكانت حبال لوحات هيروغليفية ! .

كان رينان لا يزال يغط في نومه مع ان الساعة قد جاوزت الثالثة بعد الظهر ، أما حجرة النوم فكانت مشوشة النظام فكانت ترى ثياب السهرة مبعثرة في جنبات الحجرة الأربع ، كذلك تشاهد زجاجة من الشبابة ملقاة على الساط ، وقد حنأ رينان رأسه بين المحادثات حتى لا يزعج نومه سوء النهار المتسرب الى الحجرة من النافذة .. بدأ رينان يعتذر عن سلوكه ليلة أمس في المرقص وكان يبدو عليه الخجل مما كان عليه في تلك الليلة ! ثم قال ليستر حيرته : ألا ترى انى تغيرت كثيراً ؟ أليس كذلك ؟ أتذكر الأيام السعيدة التى قضيناها فى « برشلونة » ؟ أتذكر « قلعة دررا » ^(١) حيث كنا نطارد فى غاباتها الجميلة . الفراش المسكين ، ولم يكن له من ذنب سوى حسن منظره ؟

فأجبت : نعم ان برشلونة فى ذكراى أبدا ، تلك المدينة التى

(١) احدى ضواحي برشلونة .

أطلقوا عليها بحق « لؤلؤة البحر الأبيض » كما انى أتمثل ذكريات الطفولة التى لا تمحى ، بل هى غدير صاف نروى به جفاف حياتنا اللادية . . وقد علمتُ فيما بعد أن والديه توفيا ، وكذلك عمه الموظف بالخارجية ، وقد خلف لرينان ثروة لا بأس بها . اذ لم يكن له وارث غيره ، وعرفت ان رينان درس العلوم السياسية ولكنه أهملها فى الأشهر الأخيرة كما أهمل سائر شؤونه من جراء حب تسلط عليه « فكنت اذن مصيباً عندما ساورنى الشك فى مرحة ليلة المرقص ا ، أما قصة ضرامه فأتى أترك رينان يتحدثنا عن نفسه ، قال :

قل أن يؤول الى ميراث عمى لم تكن اقامتى فى هذا المسكن الفخم بل بالعكس كنت أسكن فى شارع ضيق فى الحى « اللاتينى » عند امرأة عجوز . وكانت حجرتى صغيرة مظلمة ، فكنت كلما تأملتها أو نظرت من خلال نافذتها ونحن فى فصل الشتاء أرى سماء باريز مكفهرة عابسة فأشعر بالوحدة وأحن اليكم . ، والى شمس اسبانيا المشرقة ، والى سمائها ذات الصفاء الشرقى ..

ومع ذلك كنت أقضى معظم أوقاتي فى تلك الحجرة عاكفاً على

الدرس والمطالعة ، اذ لم تكن حالى للسادية تبيح لى حياة الروح
والسرور . كما أن ما طُبعت عليه نفسى من هدوء ورزاق ، يزيدهما
فراق الأهل كآبة كان سبباً فى بعد زملائى الطلبة عنى وفرتهم من
صحبتى الحريئة الكثيبة . ولكن هذه الحال لم تدم طويلا فقد
بعثت الى العاية بعد نصة أسابيع من اقامتى فى هذا المسكن ،
شعاعا من الأمل والحياة فى صورة فتاة جميلة قدمت فاستأجرت
حجرة بفندقنا !

كانت فتاة فى العشرين من عمرها شقراء ، ذهبية الشعر ، زرقاء
العينين ممشوقة القوام ذات ثغر عقيقى قد خلق للتقيل أو هى صورة
ثانية للفتيات الحسان اللواتى وصفهن « جريم »^(١) فى كتابه عن
خرافات نهر الرين ! ، وكنا ملتذ بقراءة هذا الوصف فى فصل
اللغة الألمانية ! ..

وقد قدمتنى إليها ليلة وصولها السيدة العجوز صاحبة الفندق
أثناء العشاء فعرفت أنها قادمة من « شامبرى » « بالسفوى العليا »

لتعمل في محل خياطة شهير. ساريز لأن الرزق ضيق في بلاد الريف
كما تزعم - بينما أرق الأمل هنا في العاصمة متسع .

ولقد أحببتُ دينير - وهو اسم الفتاة - منذ تلك الليلة ، فإن
لنظرتها جاذبية عربية ، فهي في ذلك مثل الثعالب الهندي الذي
يجذب إليه الحمل بمجرد النظرة اليه كما يقولون ، وكنتُ قد حجرت
بالصدمة في ذلك المساء محلين مسرح « ساره برنار » حيث كانت
المثله البارعة مدام سيمون تقوم بدور السير الصغير ، وكانت التذكرة
الأخرى لصديق لي ، فعرضت على دينير الذهاب معي بدلا عنه
مرفضت في نادي ، الأمر ثم عادت فقبلت إياه الخاضع عليها ، فذهبتنا
إلى المسرح بعد ما تركت لذلك الصديق كلمة اعتذار عن هذه القصة ! .
كم كنتُ سعيداً تلك الليلة لمرافقتي دينير ! فكنت تارة أتقدمها
في السير وطوراً أسير بحوارها وعيني تحمقان في ذلك الوجه الفتان
كما يحملك الطفل في قطعة من الحلوى ..

وفي اليوم الثاني توجهتُ دينير الى عملها وكنت أرافقها اليه
كل صباح ، ثم أذهب بعد ذلك إلى الجامعة فأحضر دروساً لا أعي

شيئاً منها إذ كانت عقلي بعيداً عني يرافق تلك الفتاة في حركاتها
وسكناتها ، فاذا ما جاء موعد انصرافها انتظرتها أمام محل عملها ،
وكانت دنيّر تسرّ من ذلك لأن أكثر رفيقاتها في العمل لهنّ أصدقاء
يفتظرونهنّ لدى الباب لحظة خروجهنّ

مضى شهر لم أفارق فيه يوماً دنيّر ، ولقد بذلتُ لها ما في طاقتي
من عناية حتى لا تملّ صحبتي ، فكنتُ أذهب بها يوماً الى المسرح
ويوماً الى السينما وآخر الى الرقص ، وكانت دنيّر تحبّ الرقص إلى
درجة عظيمة .

وقد ساعدني طلي تحمّل النفقات المستجدة في ميزانيتي ما أذخرته
في الأيام الأولى من مجيئي إلى باديز ، وقد ذكرت لك اني كنت
قليل الخروج ، أقضى الساعات بالفندق بين الكتب والمطالعة .

أما دنيّر فقد أخذتُ تميل إلى بتوالي الأيام وتود الخروج معي ،
وكان يداخني السرور حين تقول لي في قطار « المترو » لدى عودتنا
إلى الفندق : إلى أين مذهب في هذا المساء أيها الصديق العزيز ؟
• ولم يعد قط يضايقني الشتاء بسماؤه العابسة ، فان قلبي كان هادئاً

في ربيع خالد !

أما الدراسة فقد بدأت أهملها منذ ذلك الحين رغم عتاب دينر ..
 كما أن السيدة صاحبة الفندق كانت تصيح بي في حنان كلما رأتني
 منفرداً : انك تهمل عمالك أيها الشاب ، بالله ألا ذا كرت دروسك ؟
 وما ألدّ تلك اللحظة التي قبلتُ فيها دينر للمرة الأولى ، فلقد
 أحسست برأسي يدور كأنه تحت تأثير البنج ! . . . وقع ذلك لدى
 انصرافنا ذات ليلة من المرقص ، وكانت الحرق قد لعت برأسينا
 قليلاً . ومع هذا لم يكن ما فعلته قصداً بل وقع بلا وعي مني . .
 فقد قالت لي ونحن على باب المرقص : تأمل في جيدي يا رينان هل
 تجد به جرحاً ، أظن أنني جرحت لدى وضعي القبعة ؟ فلم أدر وقتئذ
 كيف قبلتها . . أما دينر فصحكت ولم تقل شيئاً . . ثم تكررت
 مني تلك الرياضة الشبيهة في عدة مناسبات ، ولكن كنتُ ألاحظ
 أن دينر لم تكن تتقبل قبلاقي بارتياح فكففتُ عن تقبيلها
 وأنا آسف !

لاحظتُ بعد ذلك تغيراً في شعور دينر نحوي وكلفة وبروداً
 في المعاملة ، ثم جعلتُ تخلق الأعذار للتخلف عن مرافقتي ، فاضطربتُ

وقتئذ وأظلمت الدنيا في عينيّ وخشيتُ من تعلقها بشخص آخر ولكن من حسن حظي لم يلق هذا الرأي قبولا لدى نفسي المعبّدة ، اذ راقبتُ دينير مراراً في خروجها ويا للحجل ! مدفوعا بشيطان الغيرة ، فلم أجد لها صلة بأحد . .

إذن لا بد أن يكون تغير دينير ناشئاً عن أنها فتاة جد تريد أن تكون علاقتنا بمعضنا شرعية ؟

ولكن هل كان في استطلاعتي الاقتران منها وقتئذ وأنا فقير وأهلي فقراء كذلك ؟ ولم أتم بعد دراستي حتى أستطيع أن أجد عملاً ، كلانا يرتزق منه ؟

وبنما كنتُ ذات ليلة في حترقي بعد تناول طعام العشاء أمكّر في ذلك ، إذ بدّ دينير تدخل عليّ في جدّ واضطراب وتقول : أناذن لي في محادثتك يا رينان ؟ فأجبتها : طبعاً . . . تفضلي . . . إجلسي . . . ومك خفق قلبي وقتئذ اذ علمتُ أن مصيري معلق على تلك المقابلة الرهيبة ! .

قالت دينير : إني آسفة من أجلك يا رينان فانك تحبني ولكن

قلبي غير طليق اذ أنى أحب رجلا آخر فى السقوى ، وكنتُ وددت
أن أقول لك ذلك قبل بدء تعلقك بى ولكنى ترددتُ دائماً خشية
أن أدخل عليك الحزن ، فسامحنى يارينان !

يا لعجب الحياة ! كيف قدر أن تهلم الكلمة الواحدة هيكلا
بشر يا ؟ فلقد أحسست تتحطم كيانى دفعة واحدة لدى سماعى هذا
التصريح ! ثم استمرت قائلة : ولكن ذلك لا يمنع من أن نبى
أصدقاء كما كنا فى البداية ، أليس كذلك ؟ ...

فأجبتها بخشونة : ولماذا تركت حبسك فى السقوى ؟

قالت : لا تعصب يارينان ، سأقص عليك الخبر يوماً آخر
تكون فيه أقلّ احتياحاً ثم تركتنى وغادرت الحجره

مسكنة دنيراًهما كانت تتألم من أجل فلقد قرأت ذلك فى
هينها فى تلك الساعة ، ولكن ماذا تفعل الفتاة وهى أسيرة الحب ؟
أدركتُ فى تلك الليلة سبب ما كان يعتريها فى بعض الأوقات
من الحزن والألم فى رحلاتنا ونزهاتنا الماضية ! ..



لم ينتقض زمن طويل على هذا الحادث حتى سمكن اضطرابى

وهدأت أعصابي وذلك لأنني لم أعد أرى دينير إذ انتقلتُ إلى فندق آخر ، كما عكفتُ على الدراسة فكانت بلسمًا طبيًا لجروحي وأشجاني .
 في هذا الوقت آل إلى ميراث عمي ، فانتظرت إلى أن أدبْتُ
 لامتحاناتي ثم سافرت إلى إيطاليا ترويحًا للنفس والبال ، وكنتُ
 تواقًا منذ الصغر إلى مشاهدة آثارها الفخمة ، فذهبتُ إلى تلك
 المدن الجليلة : روما ، نابولي ، فيرنزي ، فينسيا .. وغيرها ..

وكنتُ أشعر براحة نفسية في كثرة التنقل الذي شغلني عن
 التفكير في أمر دينير .

لذلك لم أدع موقعا أثريا كبير الشأن أو صغيره إلا ذهبتُ
 لمشاهدته ، وكنتُ أطوف تلك الديار كأنني اليهودي الثاني !
 ولقد أخطأتُ في ذهابي إلى إيطاليا وجرحي حديث الالتئام ،
 إذ هي بلاد الحب والشعر والجمال ..

كنتُ في فينسيا ذات ليلة قمرية بديعة أتتني في أحد زوارقها
 الأثرية اللطيفة ، وكان ربانها يغني الأناشيد الإيطالية الغرامية
 الشجية بصوت عذب ، وفي ذلك الوقت نفسه مرّ بنا زورق يحمل

عاشقين متماهين فما وقع نظري عليهما حتى تذكرت الماضي القريب ،
مكدتُ أحنّ ألما ، ففعلت عائدا الى الفندق ، وفي صباح اليوم التالي
جمعتُ أمتعتي وعدتُ إلى باريز ! ..



استأحرتُ لدى عودتي من إيطاليا هذا المسكن ، ثم صممتُ
على استئناف دراستي التي هجرتها طويلا حتى انتهى من السنة
الباقية لي من مقرر العلوم السياسية ..
وكنيتُ في ذلك الوقت المثل الأعلى للطالب المجتهد .. ولكن
من سوء الحظ لم يدعني زملائي الطلبة وتأنى كما فعلوا بي في المرة
الأولى ! بل جعلوا يتوَدّدون إلي إذ علموا بالميراث ، والبسر المادي
الذي أصبح فيه ! ..

فصاروا يخلعون عليّ من الصفات الطيبة ما أحلها في نفسي ،
ويعثثون بالمكرسكوب في خاقي عمام يهتدون منه إلى ميراث
جديدة أنصف بها ! وكلما ذكرُ اسمي في أحد منتديات الحى سمعتُ
من يقول عنى : أنه شاب ظريف ! وذلك لأن هذا الشاب الطريف

ينقلب لهم في وقت الضرورة إلى بنك سلفة ، وقد صارت سيارته تحت أمر إخوانه ، وزحاجة الوسكى مساحة لهم في كل ساعة من النهار ! ولكن من جهة أخرى فإن صحة هؤلاء الفتية أنستني أشجاني لما كانت عليه مجالسهم ومجتمعاتهم من الضحك والجلبة والصوصاء .. وبدأت أنسى حقيقة مأساتي ، إذ تمرّ علي أيام دون أن أفكّر في دينر ، وإذا تذكرتها لم تؤلني ذكراها كما كان شأنى من قبل !



انقضى شهران على هذه الحال .. ففى ذاب يوم دافئ من أيام الشتاء الداردة ، كانت الشمس فيه كالأم الحنون ، وقد احتضنت ابنتها الأرض ، كنت أنزّه على الضفة اليسرى من السين من جهة ميدان القديس ميشيل حيث توجد تلك للكاتب الصغيرة اللطيفة المتقلة لبيع الكتب القديمة أو الكتب المستعملة ، فأخذت أقلب النظر فيها لعل أعرّ بينها على - فرقيم نادر ... و بينما أنا مشغول بذلك سمعت ضجة أمام إحدى تلك المكاتب ، لا تبعد كثيراً عني ! فتوجّهت الى حيث كانت الجلبة ، وقد تجمع على

العود في ذلك المكان جمهور متطلع فصولي منلى ، لم أدر من أين أتى ! فإذا الأمر شجار قائم بين أحد الباعة ومتفرج تقبل لم يكف مشاهدة الكتب المروضة بل أخرج مدينة من جيبه وجعل يقطع صحائف كتاب جديد وذلك على سبيل المعاينة !

بعد ذلك أردت أن أنصرف فجعلت أشق لنفسي طريقا بين ذلك الجمع فإذا بدني زأماى ! فابتعدت دنيز ثم مدت لى يدها فقبلتها بحرارة واشتياق . وكأنها الحبل الذى يمد الى الغريق لاقاذه ، وقد شعرت باضطراب شديد فى تلك اللحظة كأنه زلزال قد اهتز له قلبى وأعصابى ، فكم كنت غافلاً حين توهمت أن نفسى شفيت من دنيز ومن هواها ! صعدنا بعد ذلك شارع القديس ميشيل دون أن يوجه أحدهنا سؤالاً الى الآخر ، ثم جاء دور الأسئلة التافهة التى يقال فى مثل هذه الظروف الحرجة ؛ فاستفهمت هى عما وصلت اليه دراستى ، كما سألتها أنا عن بحثها وصحة السدة صاحبة الفندق ، وعما اذا كانت لا تزال تعمل فى محل الحياطة ؟ ولما بلغنا حديقة الكسمبور^(١) توقفت دنيز عن المسير لحظة وقالت : هل لك

(١) قصر الكسمبور مقر مجلس الشيوخ الفرنسى وحديقة العلاء متره عموى للباربين .

في جولة في ذلك للتنزه البديع حتى ننتفع من حرارة الجو ونغم ذلك اليوم بسمائه الصافية ؟ فوافقتُ بطبيعة الحال على هذه الرغبة ، وهل كنتُ أستطيع مخالفة دينر التي لو طلبتُ إلى مرافقتها الى أعماق « الستيكس »^(١) لفعلتُ ذلك طائعا مسرورا ! وبعد أن تنزهنا قليلا في طرقات ذلك القصر العجم ، جلسنا على مقعد من الرخام في منتصف الحديقة بالقرب من النافورة لشاهد الأطفال وهم يسيترون فيها سفنا ومراكب شراعية يوجرها اليهم عامل مقابل أجر زهيد ، كم كنتُ أحسد في قرارة نفسي هؤلاء الصغار من أحل رنة صوتهم الطاهرة وصحكهم البريئة ! حقاً ما أسعد هؤلاء الصغار الذين لم يعرفوا بعد ما قد حبا لهم القدر ! . . .

قالت دينر : لقد تعذبت كثيراً ، أليس كذلك يا رينان ؟ ولكني أنا أيضاً تعذتُ من صاحبي ! فكأن القدر نازل مني .. أعلم أن ذلك الرجل الذي لاصير له هجرني واقترن بفتاة مثرية ! .. قلت مغضباً : يا للشيء !

وكم أحسستُ في تلك الساعة شحذ ذلك الرجل البربري الذي
يسبب شقاء وتعاسة لفتاة طاهرة مثل ديز ! كما أنقضتُ المال الذي
أضحي منبعاً للآلام الشرية ومع ذلك يجري وراءه الجميع !
ثم قلتُ مستمراً : وكيف علمتُ ذلك ، هل عدتُ الى
« السفوى » ؟

قالت : نعم فقد كانت عادته أن يرسل إلى في كل أسبوع خطاباً
فاقطعت ذات يوم خطائاته ، ثم صار الريد يحوّل إلى رسائلي لتفسير
عنوان المرسل إليه ، وجهله عنوانه الجديد ، فأوجستُ ريبة وقتئذ
وسافرتُ توّأ إلى « شامري » ويا ليتني لم أفعل ! فقد علمتُ هنالك
الحقيقة المرة من بعض الأصدقاء . . علمتُ أن الرجل قد رحل عن
المدينة لاتزوج في الجنوب من بنت أحد كبار رجال الصناعة . .
وسكتتُ هنيهة ثم قالت : رينان أتريدني ؟ فقلت الدهشة

لساني إذ بوغت بسؤالها في تلك اللحظة ويأهلول هذا السؤال !
قالت ديز في حزن : قل امك نسيته ، أليس كذلك ؟ فأجبتها
أنساك يا ديز ، ما ذا تقولين ؟ اني أعبدك ! ثم احتضنتها بين ذراعي

دون أن أبالي بالمارة الدين وقفوا ينظرون إلينا ضاحكين مبتهجين ..
ثم قلت لها : ولكن أخشى أن يكون جرحك لم يلتئم بعد ؟
فقلت في انفعال : كلا ! كلا ! اننى نسيتُ ذلك الشق !

بعد ثلاثة أيام سافرنا - ديزر وأنا - الى « فنيسيا » بناء على
رغبتها ، اذ أرادت أن تشاهد تلك المدينة الساحرة ذات الشوارع
العائمة والجسور المرمرية المقوّسة التى طالما تفتى بجملها الكتاب والشعراء
من مختلف الأمم ..

وقد صادفت هذه الرغبة من نفسى ارتياحا إذ كنت أريد أن
تشاهدنى « فنيسيا » مقتبضا مسرورا فى هذه المرة ، محتضنا الى
صدرى ديزر كذينك العاشقين الذين كانا سببا فى هربى منها . .
دقة بدقة ! !

ولما بلغنا محطة « مستر » التى تبعد عن فنيسيا عشرين دقيقة
تقريبا ، هدأت سرعة القطار اذ أخذ يمشى وسط الماء ، فلما رأته
فلك ديزر جعلت تصفق طربا وحينما بلغنا المدينة واستقلنا أحد



الزوارق التي تنتظر الركاب لدى المحطة ، كان سرور دينز واعجابها
بالمدينة العائمة بالعين النهاية . .

أما أنا فسكنتُ سعيدا حقا لدى رؤيتي معبودتي دينز جزلة
مسرورة . .

وكم أشفتُ وقتئذ في نفسي على أولئك العلاسفة المتشائمين الذين
يزعمون أن الدنيا حقيرة لا تستحق الحياة من أجلها ، فقد كان منظر
دينز فرحة أمامي في تلك اللحظة كالطفلة البريئة . . رائعا لا يقدر ! . .

وقد نزلنا في فندق « دايلي » الفني القديم ذي الأرض الموجهة
الذي كان مسرحا ذات يوم لغراميات « دي موسيه »^(١) و « جورج »^(٢)
ساند « المحبين العبقريين » . .

وكان الفندق في ذلك العام غاصا بأبناء العالم الجديد الذين كان
التناقض بينا بينهم وبين ذلك الفئسق المظلم العتيق ، بسيام الفتية
وثيابهم الزاهية الملونة . .

وأظن أن هؤلاء الأمريكيين لا يشعرون بما في « فنيسيا » من

(١) شاعر فرنسي رقيق ١٨٦٧ - ١٨٠٤

(٢) كاتبة فرنسية كبيرة ١٨٥٧ - ١٨١٠

حياة شعرية خيالية بل يأتون اليها مقلدين ، فقد تعرفتُ بأحدهم ذات يوم في الفندق وكان مملاً فسألته عن رأيه في المدينة فضحك وقال : يجب عليّ أن أقول لك أنها مدينة أثرية جميلة ، كما قلتُ في رسائلي لأصدقائي في أمريكا ، ولكي في الواقع غير معجب « بثبسيا » وهي غير صحيحة بماهاها الراكدة الاسنة ؛ ولو وحدث عندنا في أمريكا لفسفها ادارة الصحة نسفاً . وكنا نقضى نهارنا في مشاهدة الآثار الجمّة في المدينة ، ولا يزال معطما على حاله الأول ، كأن الدهر غفل عنها فلم يمسه بسوء . . .

أعجبت دنيز كثيراً بكنيسة « القديس مرقس » ذات الطراز « البيزنطى » العجيب ، وبما فيها من العمدان المرمية المتعددة ، والفسيفساء المتنوع الجميل . . .

وأدهش دنيز كذلك قصر الدوق - مقرّ حكام فنيسيا المعجم في وقت عظمتها وسيادتها على « الأدرياتيك » ، وقد حُلِيت مقوف القصر الفخم بصور جميلة من صنع « فرونس » المبدع وهي مناظر رائعة تمثل مجد « فنيسيا » القديم . . .

وسرّت دنيز أيضاً بما شاهدته في متحف «الأكادمية» الجليل
من صور زيتية دقيقة أبدعها «جيو فاني بآيني» المبقرى و«نيتان»
العظيم ..

كذلك راقف دبير تلك القناطر المرمية ذات الطرار «الفوطى»
زخارمها الدقيقة «كالدا نطلة»، وما أكثر هذه القناطر في «فنيسيا» ..
ثم شاهدنا مصانع الزجاج الشهيرة في «موراو» حيث تمكن
الصانع الايطالى بالنار أن يخرج العجائب الفنية ..
وقد اشترت دبير لمنزلنا في باريز تحفاً كثيرة دقيقة الصنع ،
كلها من الزجاج ..

أما ليالينا فكنّا نقصها في المرقص بالفندق حيث كانت دبير
لحسنها ورشاقتها موضع إعجاب الزلاء واهتمامهم ..
وكنّا في بعض الأحيان تنزه ليلا في الزورق على مياه
«اللاجونا»^(١) الساكنة يحدونا صوت المجدف الشجى .. حيث
كل شيء حيالنا يدعو الى النشوة والحب : ضوء القمر ، وسكون

(١) بحر غمر حقيق كثير الجزرات وعليها تقوم فنيسيا ..

الليل وروعته ، وماضى تلك القصور التى نخطونا والتى طالما انفس
أهلها فى الحب واللذات ..

قصينا أسبوعين فى «فنيسيا» فى سعادة كاملة ، نتجدد كل
يوم مسراتنا وملاهيها كأننا حاضرين «لنظام من افناء» على حد
عبير الكاتب الألمانى الكبير توماس مان .



سافرنا بعد ذلك الى فيرنزى على متن الطائرة لأن دبير قد
شاءت محاكاة سيدات الطبقة العليا الحديثات الى أبعد مدى ، اللواتى
شاهدتهن مراراً فى السينما لا يستقلن مطية غير نبت الريح فى روحتهن
وغدواتهن

كانت رحلتنا الجوية هنيئة جداً ، كما كانت تسليفاً رؤية
الناس والمناشية والمنازل والأنهر مصفرة من الطائرة حتى خيل إلينا
أننا نشاهد أقزام « جليفر »^(١) ..

(١) بطل قصة للكاتب الانكليزى الشهير سويغت ، وقد ذكر فى هذه القصة أن
جليفر وصل الى مدينة يبلغ طول الساكن بها ستة أقدام الخ ..

وكان نهر الپياقي وواديه الشهيرين يبدوان لناظرنا شيتين
 حقيرين مع أنهما قد كانا في الحرب الكبرى مسرحا لوقائع عظيمة
 اشتبكت فيها مئات الألوف من الجند . . وقد كنتُ أخشى أن
 يصيب دنبر دوارى هذه الرحلة ، ولكن عندما بلغنا فيرنزى
 واستفهم منها عن محتها صاحبت بي قائلة : ان هذا البديع ! كان
 يحتمل إلى أنى في (المونتاني^(١) روس) ! . .

بقينا في فيرنزى بضعة أيام ونحن سعداء تحت قبة زرقاء
 صافية ، وفي جوّ عليل تنتقل بين آثار تلك المدينة العظيمة التي
 ازدهرت فنونها وآدائها في زمان كانت فيه أوروبا تتخطى دياجير
 الجهل والوحشية . .

وانه ليكني فيرنزى شرفا أنها أنجبت للعالم فتاتين عباقرة أمثال
 « ميكل أنج » ، و « لوناردى قنشى » ، و « دانت » شاعر الانسانية
 الكبير . . ومن يزر قصورها الفخمة مثل « الپلاسيو فكيو » ،
 « الپلاسيو ستروسي » الخ . . يشاهد هناك أروع النفائس الفنية في

(١) من ملاهى الونابارك ، وهو عبارة عن مركبة تسير بسرعة عظيمة على
 قضبان من حديد في طرق موجهة تارة مرصعة وطورا منخفضة .

العالم . . تلك القصور التي ليست في حاجة إلى دليل لدى مشاهدتها
إذ أن المرء يصل إلى إدراك تاريخها بمجرد دوحى شعوره وخياله - كما
تقول مدام دي ستيل ^(١) -- وذلك لما يحوطه فيها من روعة وفخمة . . .
وقد حافظت فيرنزى كذلك على شكها الأول اللطيف بطرقاتها
العتيقة المطلمة المعوجة . . وما أجمل حدائق فيرنزى الغناء القائمة
على نهر الأرنو ، تلك المدينة التي سُميت بحق مدينة الأزهار ، فقد
كنا في أوائل شهر أبريل ومع ذلك كانت أدهنها وحقوقها زاهرة
زاهية كأن لمستها عصا الربيع الساحرة . .

ولكننا تعبنا في الهايه دينز وأنا - من كثرة ما شاهدنا من
الآثار في تلك المدينة الجذيلة مقفلا عائدين إلى باريس .

وكننت عرضت على دبير الذهاب الى روما - حاضرة
الفياصرة والبابوية - وهي لا تبعد كثيرا عن فيرنزى ، ولكنها
أبت قائلة :

كفانا معايرة للموتى والأشباح ، لنعد إلى مدينة النور !

(١) كانت فرنسية شبيبة ١٨١٧ - ١٧٩٦



قضينا دنيروا وأيامنا الأولى بباريز في اقتناء الأثاث والتحف لتجميل منزلنا وكنتُ قليل الغاية به عند ما اقتتُ فيه وحيداً ..
كذلك ذهبت مع دنيروا الى محل الحياطة الذي كانت تعمل فيه من قبل لتجهيز ثياب الربيع ..

وقد استقبلها هناك رفيقاتها في بهجة وسرور غير مصطنعين لأن هؤلاء الفتيات العاملات هنّ أطيب الناس قلباً فلا يحسدن رفيقاتهنّ اللواتي ساعدنّ الخطأ ، كما هو الحال في الأوساط العليا ..
وكانت دنيروا تسألني رأياً في كل ثوب يعرضونه عليها ، ولما كثرت أسئلتها قلتُ لها صاحكاً : روجي عن نفسك يا عزيزتي فإن كل ثوب تردنيه يصبح بك جميلاً ..

ثم اخذنا نقوم بسيارتى ذات المقعدين ، برحلات شيقة في ضواحي باريز التي ايقظها الربيع من سباتها العميق ، فما أجمل منظر ذلك البعث في الطبيعة ، حينما تشاهد السحاب في السماء يخلع عنه فروة الشتاء ، وتفاحيء الخصرة وهي تتسلق غصون الشجر ، وتنظر الى الأزاهير وقد تفتحت أكمائها تحيى بفرها الدسام : الضوء ، الشمس ، الربيع ، الحياة !..

فكم مرة تنزهنا في قصور فرساي وحدائقها الشاهقة حيث عاش
ملوك فرنسا الفخام على مسارح شبيهة بألف ليلة وليلة لما أقاموا من
أعياد وأفراح لم ير الدهر مثلها في الترف واللهو والمجون ..
وكان يُخيل إلينا لدى طوافنا بتلك الأماكن كأننا سوف لنتقى
بسكانها النبلاء الذين عزّ عليهم مضادة قصورهم فظلمت أشباههم
تلازمها ..

سألتُ دير لدى احتيازنا أحد دهاليز القصر :
ما تصنعين يا عزيزتي لو تقابلنا الآن وحياً لوحه بالمبها دور (١)
في موكب من اتباعها ودمائها ؟
فأجابت دير : يكون حميلاً يارينان ! فلك المرأة كانت لاشك
ساحرة حتى أطاقت المملكة اسرافها الذي ستب سقوط أخيه اميرة
مالكة في أوروبا في ذلك العصر .

وكذلك ذهنا الى قصر « فونتنبلو » الجميل الذي : اعد صمو:
« النسر » وسقوطه إذ هناك تنزل نابليون عن عرش فرنسا

سنة ١٨١٤ ، ولكن مكبة ذلك الرحل العظيم لم تكن مما تحزن له ديز
فقد كانت تؤاخذة على طلافه من زوجته الأولى جوزفين - التي
هي من بنات الشعب - ليصاهر آل هسبورج ! .

وقد صر فونتنبلو خفيف الظل على الملأ الطيف المعروف
بالإبسانس ، ولم لا يكون كذلك وقد تبيده عاهل بسيط مرح
يحب الحياة ويفتر مسراتها وملاهيها ذلك هو الملك فرنسوى
الأول .. وحلى بين القصر حوض كبير مملوء بالماء كانت ديز تقصده
حينما تذهب لزيارة القصر لتلقى رفاتاً من الخبر إلى السمك الكبير
المؤمن الذى يصبح فيه .

كذلك كان يروقنا السير فى عابة فونتنبلو العظيمة تحت ظلال
أشجارها الباسقة ..

وطالما ذهبنا فى الصباح إلى غابة بولونيا حيث كنا نمتطى
جياتدا ونمرح فى ظلال أشجارها الوارقة ، وقد علمت ديز ركوب
الخيل ، وعندى أنه ليس ألطف منظرأ من امرأة على صهوة حواد ..
ثم كنا نذهب لتناول « الأرتيف » فى « الأرمنثيل » حيث

تقابل بعض الأصدقاء لأنى كنتُ أتجنب الاختلاط بالناس رحاء
التفرد بدنير ونظراتها الفاتنة واتساماتها الساحرة ، وقد كنت أعاز
عليها حتى من مجرد نظر العير لها ، ولم وددت وقتئذ أن أكون
شرقياً حتى أستطيع أن أرغم دينز على الاحتجاب !

وكنتُ أفكر أحيانا — وأنا جالس على المراد من دينز
أفكاراً صيدانية سادجة ، مثلاً : أن يكون — دينز وأنا
عصفورين يتناحيان على عصن شجرة وارفة ناسقة حتى لا تقع عين
إنسان عليهما ، وأن تكون هذه الشجرة فى عابة عبدة جداً ، مفقودة
فى مجاهل الهند أو الصين !

وكنتُ إذا ذكرتُ مثل هذه الأفكار لدينر ضحكتُ وقبّلتنى
وهى تقول :

أنت لاشك مفتون بى يا عزيزى رينان !
لقد كنتُ أحب دينز حقاً ، كنتُ أحبها عدد ما فى السماء
من أنجم !

رب ! ما هو الحب ؟ وما هذا السلطان الذى له على الناس ؟

أو مرض ؟ كلا ، بل هو السحر الذي يجعل النفس مسيطرة
خاضعة لسلطان خفي قارس ، ولكنه مع هذا ممتع لذيد . . .

ولكم أعجبتُ من أحل ذلك محكة آبائنا الأقدمين الذين كانوا
يعالجون الحب بالرؤى والتعاويد . .

ولكن أكانت ديزر تحسّى ؟ أحل ، فان نظراتها لى كانت
نميص رفة وحنانا . .

ولكن أكان حبها لى يماثل حبى لها ؟ كلا ، ولقد كان هذا
الأمر مما تحزن له نفسى . .

كم وددتُ أن يكون حبها مماثلا لحبى ، بل أن تكون روحى
شقيقة لروحها اذ يؤكد ^(١) لامارتين أن كل روح فى الوجود لها شقيقة
لا بد من ملاقاتها والامتزاج بها عاجلا أو آجلا .

ثم كنتُ أعود فأراجع نفسى وأقول :

ما هذا الهوس يا ريذان أنك كنت من قبل تدفع حياتك ثمنا
لابتسامة من ديزر والآن ها هى بين ذراعيك ولست قائما ؟ احمد الله
وأشكره على ما أنت فيه من نعمة !

(١) شاعر وجداني فرنسى كبير .

وقد ذهبْتُ بدiniz كذلك لمشاهدة سباق الخيل في « أوتوي »
و « لونشان » ، ولكنها اهتمت بمشاهدة ملابس السيدات المتأقات
اللواتي كنا هناك لا لسبب سوى عرض ثيابهن . . أ أكثر من
اهتمامها بالمضمار . . .



قضينا كذلك عدة أيام جميلة في « دوفيل » عروس
« النورماندى » - حيث أمواج « اللانش » الثائر تتخط حبالنا
على الرمال كأن جنًا يطاردها وهي تنلبر النجاة منه . .
ولم تكن « دوفيل » حين قدومنا إليها غاصة بالزوار لأن فصل
الصيف كان في بدايته ، لذلك نزلنا في فندق بسيط لرجل ثرثار
متقدم في السن كان يسلينا بأرائه الفلسفية عن الحياة . .
وفي ذات يوم كنا نتناول طعام العشاء على افراد - دينز وأنا -
بالفندق ، وكانت في تلك الليلة معتلة المزاج حتى أنى لما قدمْتُ إليها
قدحا من النبيذ الأبيض المعتق رفضته ، فلما رآها صاحب الفندق
تفعل ذلك ، وكان قد أقبل يحينا ، صاح بها قائلاً : اشربى ، اشربى

يا صغيرتى هذا هو الاكسير الذى يردّ الى المرء سروره وسعادته ..
 ما للشباب والحزن ؟ اشربى ، إن الشباب قد خلق للمرح والسرور !
 صدّقينى يا صغيرتى ليس فى الدنيا ما يعادل فنة الشباب فى عمر
 الانسان . لقد كنتُ - أنا كذلك - شانا مثلك ، وقد أُحِبْتُ
 وأُحِبْتُ ولكى لم أقدر السعادة التى كنتُ فيها - حق قدرها -
 الا بعد أن فقدتها ، عند ما ابيعَت ناصيتى وأدركتنى الشيخوخة
 المفزعة .. فقاطعت دنيز قائلة بابتسامة حلوة : ولكن الشيخوخة ليست
 على ما تزعم من الرداءة فان المرء يدرك فيها صفاء النفس ، وراحة البال
 والقلب .. فقال الشيخ : كلا يا صغيرتى هذا ما يزعمه الخيالون ،
 ولكن الحقيقة أن الشيخوخة هى الحياة مريرة ممسوخة ، هى أن
 ترى الناس يخوضون غمار الذات ، وأنت حيالها كالقعد ! هى أن
 تقدم لك كأس النشوة فلا تمالك الشرب منها اذ يداك لا تقويان
 على حملها من رعدة السن ! هى أن يهتف بك ملاك الحب يدعوك
 للذة الكبرى فلا تصفى له وقد ثقل سمعك ! هى أن تنادى حبيبك
 فينفر من صوتك المبحوح كما ينفر العصفور لصوت الطير الضائر ! ..
 وكان الرجل كلما استرسل فى حديثه ، زاد حماسةً ، واقلب صوته

الى نبرة محزنة ، ثم نظرت اليه فاذا بعينه أغرورقتا بالدموع . فقلت له ضاحكا : إنك تبكى يا صديقي ، هلا احتسب هذا الكأس ، وقد ناولته قدحا من رُحاجة السيد مفرغه في فيه وهو يقول : ماذا تريد ؟ أنها لذكري شجيرة ...

تأثرت دينيز من حديث الرجل واعتراها قليل من الغم فقعدينا الى الكازينو في تلك الليلة حتى اسرى عنها ، ثم دخلنا فاعة اللعب حيث جلسنا دينيز الى مقعد على إحدى موائد « البكرا » المخصصة ، ووففت وراءها لأرسلها إذ كانت لا تفهم جيدا هذه اللعبة ... وقد كسبت دينيز في هذا المساء مبلغا كبيرا من المال ، وكانت كما ربحت ضحكت ضحكا عاليا ..

وقد كان حظها عظيما حتى أن « اليد » ظلت تلازمها سبع مرات متتالية ..

أما أنا فقد أطرقت من أجل ذلك إذ تذكرت القول الشائع :
« سعيد في اللعب ، تعيس في الحب .. »



وفي ذات ليلة - لدى عودتنا الى باريز - رأينا أنت نغفم

الراحة المزرية فاذا بالعاملات زبلات ددير في محل الخياطة ، يفاجئتنا
بالغارة على الدار ، ثم أقبلن على الفنوGRAف وأخذن يرقصن على نغماته ،
وقد قدمت اليهن ددير الحلوى والبيورتو . وقد كان جميلا حقاً
منظر أوائك الغتيات الحسان وهن على هذه الحال من النبطة والسرور
يعصن شبابا ومحة !

بعد ذلك أخذن في الطواف بحجر الدار يقلبن تحفها ، كن
المسكان «سالة مزاد» ، كذلك هجمن على غرفة ديز ، ولم يغادرنها
إلا بعد أن حملت كل واحدة منهن تذكراً .



وى ليلة أخرى كنا نتعشى في غابة بولونيا ، وكان الطقس جميلا
ومطر الربيع يملأ الجو عبيراً ، وقطرات الماء وهى معلقة كالذر
المنثور على الأشجار تكسوها هجة وزواء .
ولما انتهينا من طعامنا ، سألت ددير :

هل لك في زيارة بعض المراقص ؟

نبدأ بالحي « اللاتيني » أولاً . ثم « مونيراس » ، وبعد ذلك
تقصد حى « مونمارتر » المعجوز .

فأجبتها مغتبطاً ، إذ لم يكن لدى أحب من أن أحقق كل
 رغبة لديز :

ان رغباتك يا مولاتي هـي أوامر لعبدك المخلص المطيع ،
 ثم تناولت يدها فقبلتها على الطريقة المسرحية - في خشوع واحترام !
 ولما بلغنا الحى اللاتنى ، فكرنا فى زيارة السيدة المحوز
 صاحبة الفندق الذى عرفت فيه ديزر ، وكنا مقعّرين فى حقها إذ لم
 نزرها منذ عودتنا إلى باريز ، ألم يكن واجباً على أن أحيجّ إلى ذلك
 المكان المقدس الذى حصلت فيه على سعادتي المنشودة !

ولكننا عدلنا فى اللحظة الأخيرة عن هذه الزيارة خوفاً مما كان
 ينتظرنا من وابل عتاب هذه السيدة الطيبة والثائرة بحكم السن !
 قصدنا بعد ذلك المقهى الصينى ، ولكن مقامنا فيه لم يكن
 طويلاً اذا كان الزوّار قليلين ، ولم ينزل إلى حلبة الرقص إلا عدد
 ضئيل من الطلبة ، فكان الاركستر من أجل ذلك يعزف ببطء
 وبدون اكتراث .

ثم قصدنا مونپارناس حيث دخلنا فى «مقهى السود» ، وكان

مزدحمًا بكبار الزوار حتى لكنت تشاهد سرباً من السيارات الفخمة
واقفاً أمام المدخل .

وقد لاحظنا أن الأغلبية العظمى من الزوار كانت من البيض
الذين بلغ بهم سأمهم من لونهم أنهم جاءوا الى هنا يفسدون
مودّة السود .

كم كان عجباً منظر السيدة الباريزية المتأنقة وهي بين أحضان
رجل أسود ، تراقصه في لذة وابتهاج .

أما المقهى نفسه فكان مزدان الجنبات بالنخيل والخيزران .
كما أن حلبة الرقص كانت محاطة بأكاليل من الورق الملون ، وكان
أفراد الاركستر من الجنس الأسود أيضاً يعزفون بالأغنام « البربرية »
« الفكس » و « البلوز » .

وكم ضحكنا في تلك الليلة من مشاهدة أولئك الأورو دين الذين
خلعوا عنهم مختارين ، ثوب المدينة في تلك الليلة ليولولوا ويضخبوا
كالبربر ، ليزيدوا الحفلة جلبة وجنوناً .

لدى انصرافنا من مقهى السود قصدنا — مشياً على الأقدام —
المقهى المشهور « بالمصفور الأزرق » ، وهو لا يبعد عنه كثيراً . .

وهذا المقهى مبنى على آخر طراز حيث يتحلى الهوس الفنى الحديث إذ تشاهد هنا وهناك رسوم نظريات هندسية وعمليات جبر تحلى سقوف المرقص وجدرانه ، كذلك ترى به صوراً مذهشة كصورة ملائكة بأجنحة طيارات ، أو جسم إنسان رأسه فى أسفله الخ .. ومعظم زوار المرقص من طبقة الأدباء والعلماء وأهل الفن .. كنت تشاهد به أيضاً المناظر البوهيمية الحقيقية لا كن علمه القوم من نشوة ومرح ، وعدم الاكتراث بالملابس ، كما كنت تلاحظ الشوارب والذقون المقصوفة على أشكال غريبة مصحكة .. وقد صدق الشاعر الكبير فيكتور هوغو فى قوله : « الرجال أطفال كبار » .

وكنتم تشاهد فى المرقص بعض مناظر الحب الشاذ تعسّر ما كانت عليه صادم وعمورة ؟ .

وقد فحشنا كثيراً من مشاهدة هذه المناظر الغريبة وبه خاص حينما أخذ هذا الجمع المشكل يرقص الرقصات العريضة ، وقد حمل إلينا وقتئذ أننا فى ليلة « فليورجس »^(١) ..

(١) ترسم الحرافة الآلمانية أن الجان والحرّة عمعون فى رؤوس الحال . وفى القديس فليورجس الرقص والهوى . وقد حذرنا هذه الأسطورة فى رواية فوست الشهيرة .

ثم قصدنا حتى مونتاتر المجوز حيث الملاهي ذات الطابع
الفرنسي المحض ، علماً بأن مونتارناس والحى اللاتنى يفرهما السياح
والأجانب الخ ..

وكنا نسمع أثناء سيرنا فى سوارع مونتاتر المتصاعدة أصوات
الموسيقى المختلفة : ضحكة « الجاز » ، أنات « التانجو » .. المنبشة من
المقاهى القائمة على حنبي الطريق ..

ذهبنا الى مقهى « الفأر » فى الجهة المرتفعة من مونتاتر قرب
كنيسة سا كركور ، فى طريق ضيق مظلم ، وقد روعى فى تشييده
أن يشابه خمارة قديمة ..

أما الأثاث فكان غريباً كذلك إذ كانت المكان مضاء
بصاييح الزيت القديمة ، وكانت مقاعده قطعاً مربعة من الخشب ،
وموائده برامبل صغيرة ، وقد قدم لنا الخادم « پورتو » أحمر لذيذاً ،
وكانت فى السكاس كرزة شبيهة شوقتنا الى طلب دور آخر من
النبذ ..

ثم بدأ رحل يرتدى لباس الأوباش يبنى -- بصوت لا بأس
به --- انشودة فرنسية قديمة ، ثم نبعت امرأة تلبس ثوبا حقيرا

أسودَ ففنت الأغنية الفرنسية المؤثرة « مائعتين أيتها الحسناء ليردَّ عليك حبيبك ؟ أعطى فرساي ، باريز ، سان دني ^(١) أعطى أبراج النوتردام ^(٢) وحرس (كنيسة) قريتي »

وكانت نبرات صوت هذه المغنية شعبة درنة يرسلها لآمالك قلب كلِّم ذاق مرارة الحب .. وما كادت تقتبى حسنى ابتلت عيناها بالدموع ..

تأثرت دينز اسماعها هذه الانشودة ، ولبؤس المغنية تناولتها مئة فرك ، ثم نهضت مقطبة الوجه وهي تقول .

اننى متعبة ، هيا نعود الى الدار يا رينان لقد نجونا كثيرا هذه الليلة .

ثم دفعنا حسابنا وانصرفنا على القود .

في اليوم التالي لتلك السهرة التي زرنا أثناءها مغاهى باريز الليلية ، لم نحصر دينز الى غرفة الطعام كعادتها لتناول الفطور وقد

(١) حى نادرى .

(٢) كنيسة شهيرة بباريز .

ظننتُ أنها لا تزال نائمة فذهبتُ لاولقظها ولكن لشد ما كانت دهشتي عظيمة اذ وجدتُها منتبهة شاحبة الوجه ، محمّرة العينين ، فسألتها ادا كانت قد بكت فأجابت بالايجاب قائلة ان صداعا شديدا قد سبب لها ذلك ، فقلتُ هل أُحضر الطبيب ، فابتسمت وقالت : شكرآ لا حاجة لى بطبيب وها انا اُحسن الآن انى أحسن حالا ، فاذا استرحتُ قليلا زال كل شىء ! .

فقبلتها فى جنبها وعادرتُ حجرتها .. منذ ذلك اليوم - لشقائى العظيم - تغير طبع دينر فحلّ الحزن فى هيكلمها الدقيق ، وفارقت نغرها تلك الابتسامة الحلوة التى كانت تستقبلنى بها صباح كل يوم فكانت مصدرآ لأمالى وسببآ لتعاقبى بالحياة الدنيا السخيفة ، ولكن دينر كانت مع ذلك تتظاهر بالسرور كلما وُحِدتُ معها حتى لا تشعرنى بتغييرها فاذا خلت إلى نفسها ابتأست ونطرت للفضاء نظرة شقاء ويأس . وكنتُ اذا فاحأتها وهى على هذه الحالة ارتبكتُ كمن يفاجأ فى ارتكاب جريمة ! .

ولم تعد لها رغبة فى الخروج بل كانت تقضى وقتها فى مطالعة



القصص تقرأها بدون اهتمام ، وكنتُ اذا سألتها أحياناً من باب المزاح عن موضوع قصّتها ، تعثرت معتذرة بالنسيان ..

ثم أخذت تفقد من وزنها بعد أن فقدت شهية الأكل ، وكنت مع ذلك أرغمها على تناول الطعام كالأطفال ، تارة بالحيلة وطوراً بالتوسّل والرجاء ..

في هذه الحال اضطررتُ أن أحضر لها الأطباء لفحصها رغم معارضتها ، ففعلوا ولم يجدوا في الجسم علّة ما ، وإنما أجمعوا على أن الذي تشكو منه ديز هو ضعف عام ، وإن تغيير الهواء وتبديل البيئة هو الدواء .

وقد قطعتُ كل علاقة جنسية بديز منذ ذلك الحين حتى لا اضيقها ، وكنتُ أشعر من نظراتها أنها شاكرة لى ذلك .

وكنتُ أفكر الساعات الطويلة في سبب تغيير ديز لأنى كنتُ لا اصدّق بطبيعة الحال ان الضعف يفعل كل ذلك التبديل في مثل هذه الفترة الوجيزة ..

ربّ! كم نمتُ على الوجود وقتنشد وحقدتُ على هذه الدنيا
 القاسية التي لم يكفها ما تعذّبت به من قبل حتى تصرّ بنى ضربة جديدة!
 ما كان السبب في تغيّر دينر؟ أيكون السبب بعث حبها القديم؟
 ربّ! لقد صعقتني هذه الفكرة عند ما خطرت ببالي، كما يصعق
 الكرسي الكهربي، الجاني في أمريكا..

أترى جاءتها رسالة من ذلك الرجل البغيض؟ كلا! فاني
 تأكدت عكس ذلك من الخدم، فضلا عن أن الصدفة شاءت أن
 ساعى البريد لم يحضر في ذلك اليوم الذي بدأ فيه تغيّر دينر..

أم شاهدته دينر في مقهى من المقاهي التي زرناها تلك الليلة
 المشؤومة؟ كلا أيضاً! فان عينيّ تراقبان دينر على الدوام في نظراتها،
 كما يُراقب الشمس، زهر عباد الشمس!

وكما سألتُ دينر عن سبب تغيّرها تعلّلت بضف الصعّة،
 وكنت ألاحظ استياءها من مثل هذه الأسئلة..

ربّ! كم عذّبتني الشك في تلك الأيام المبرّحة!



سافرنا بعد ذلك الى مونترو بسويسرا لعل ديزز تقتعش هناك
بتبديل الهواء كما أشار بذلك الأطباء ، وقد اخترت هذا المصيف الحسن
موقعه على بحيرة « ليان » الشهيرة ..

ولما أخبرت ديزز بهذا الاختيار بدا عليها الاغتراب فاستبشرت
خيراً من سرورها بهذا الاختيار وعللت النفس بقرب تقشع تلك
السحابة السوداء التي ظللت سماء سعادتنا زماناً ..



ها نحن أولاء يعدو بنا القطار من باريز الى مونترو ، يترجح بنا
اختلاط العجل والتضبان وكأنه حرس السباط ..

وعبثاً نحاول أن نتبين من النافذة المناظر التي تختلف علينا إذ أن
الضباب المتكاثف والمطر الهاطل يحولان بيننا وبين هذه الرغبة .. ثم
ما لبث الجو أن تغير فأنجلي الضباب وتفشّت السحاب ، على أن
مفاجآت الجو في الصيف أمر مألوف كما نعرف ثم مررنا بمدينة

لوزان ، ولما بلغنا ساحل البحيرة بدت هذه بالمنظر الجميل ، وإذا برائحة تندية تعبق في الجو ترسلها الخائل والرياح التي يجتازها قطارنا في طريقه إلى مونترو . .

أما مصيف « مونترو » فهو : بعض الفنادق الكبيرة والفيلات الجميلة المشيدة حوال البحيرة ، تحوطها الحدائق المنسقة على أحدث طراز . .

وقد نزلنا بفندق « مونترو پلاس » المطل على هذه البحيرة بالمنظر الضامى كما أن جبال « السقوى » الفخمة تطل عليه . . وما أعظم تلك الجبال ، وما أروع تيجان الثلج التي تحلى رؤوسها ! وقد ابتهجت دنيز لهذه المناظر الطبيعية الجميلة ولكن سرورها كان دائما قصيرا كفترات سطوع الشمس في أيام الشتاء . . وكنا نقوم برحلات جميلة بهذه البحيرة المحاطة بالجبال والخائل ، وان بين هذه المناظر الطبيعية الساحرة ما هو جميل حتى « ان المرء ليوذ أن يحتضنه » على حد تعبير فلوير (١) . .

وقد تعرفنا إلى بعض نزلاء الفندق ، وكانت مجالسهم تسليّ
دينير ، من أجل ذلك كنت أجتهد في التعرف بالناس ، أنا الذي
كنت أبتجنّبهم من قبل كي أتقرب بها . .

كانت جماعتنا ثلاثة أولهم : سيدة انجليزية عجوز طافت مرتين
حول الأرض وقد جاءت إلى سويسرا للراحة قبل القيام بالرحلة الثالثة
وكانت تزعم ان هذه ربما تكون الرحلة الأخيرة لها . . وكانت أديبة
مطّاعة لها معرفة واسعة بالعالم إذ استطاعت برحلاتها أن تدرس الشعوب
وأحوالها في مكانها . وكانت تقول أنها اختارت بحيرة « ليمان »
للاقامة متأثرة بالشاعرين العظيمين يرون ولامارتين اللذين أشادا
بذكر البحيرة فخلدت بشعرهما كما خلد شعرهما بها . .

وكانت تترنّم دائما في لهجة انجليزية مضحكة بهذه الأبيات الجميلة
التي يقولها لامارتين للبحيرة ، وذكر فيها اللورد يرون ، ذلك الشاعر
الشارد :

« وقع يرون على شاطئك ينزف ويموت كالجاهد الذي أضناه

القتال . . يقولون ان صوته فى صرخاتك وعينه فى صاعقتك وذلك
عند ما تثير الرياح سوجك الأرجوانى »

وثانى الجماعة ، نبيل ايطالى وريث للقب كونت وكان منفيا من
بلاده لأنه من خصوم النظام الحاضر فى ايطاليا ، والرجل فى الخمسين
من عمره ، تظهر عليه آثار النعمة — التى نشأ فيها — وما اشتدلت
عليه كذلك تقاطيع وجهه من الدقة . . وكان الكونت يقضى وقته
فى سويسرا فى التآمر مع بعض الزعماء الايطاليين الممدين من له من
الوطن ، ولكن كان يفعل ذلك فى احتراص شديد حقا لا يرضى
للخطر ، أملا كه الواسعة فى ايطاليا !

وكان الرجل مولعا بفن التصوير الزيتى ، ملما بقواعده فأحد
أساتذة مدرسة الفنون الجميلة . .

وكان يصور بعض المناظر الطبيعية ، وقد أرانا الصور التى نقلها
عن البحيرة فكانت دليلا ساطعا على البعد بين العلم والعمل ! . .

وكان الكونت يجيد الفرنسية وينطقها نطقا فصيحاً حتى أنه لم

يكن يشعر معظم مواطنيه في نطق حرف (الج) التي ينطقونها (ز)..

وكانت للكونت آراء شاذة في تقدير الجبال فكان يزعم أنه يكفيه للتعلق بامرأة حسن زينة رأسها ، وبأخرى نبرات صوتها الرقيقة وبثالثة نعومة يدها ، وبرابعة نظراتها العميقة ، وبخامسة حاجبها الدقيق ، وبسادسة صورتها الجانبية . . .

وقد سأله دينز عما يعجبه في دينر منها ، فصاح قئلا :

أنت يا سيدتى الجمال بعينه ، أنت جنبة بيجاليون (١) !

وثالث الجماعة سيدة فرنسية في الحاقة الرابعة من عمرها قدمت إلى مونترو لتعفى بها دور النقاهاة من مرض عضال ألزمها الفراش الأشهر الطويلة ، وهى زوجة أحد كبار موظفى الحكومة البلغارىة ، وكانت تذكر لنا على الدوام وطنها الثانى ، منزلها فى صوفيا وزوجها الذى كانت تحبه دبا جمّا ، وكنت أغبطها على هذه السعادة ، وهذا

(١) نزع الأساطير أن بيجاليون كان مثالا نارعا فى قرص ، وقد صنع تمثالا

ديما لامرأة ما لك ان اتن به ، م دت الحياة فى التثال متزوج منه .

الحب الذين حُرمت منها . وكان زوجها قادماً إلى مونترو بعد ثلاثة أسابيع - كما تقول - ليصحبها في عودتها إلى صوفيا .

وكنا نقوم أحيانا ببعض الرحلات مع هذه الجماعة فنذهب تارة الى جنيف لشراء الساعات السويسرية الشهيرة التي كنا نجدها هناك أغلى ثمناً منها في باريس . وطواراً نذهب مساء الى كازينو افيان القائم على تلك البحيرة فنقصي الليل في مشاهدة الرقص واللعب .

ذهبنا مرة أخرى إلى زيارة قصر « شيون » وهو قريب من مونترو ، قائم على البحيرة كذلك ، وكان سجناً « أبيض » ، من أبطال الاستقلال السويسري . وفد سجن في هذا القصر بأمر الدوق دي سافوى ، وكنا جميعاً معجبين ببطولة الشعب السويسري الذي دافع عن حريته بشجاعة واقدام ، وكان أكثرنا حماساً ، السيدة الأنجليزية التي كانت تغبط السويسريين لما احتقنهم الله من اقدم وطبيعة جميلة ، وكانت تذكر هذه المناسبة قول لامارتين عن المواطن السويسري : « ان له روح الوطني في قلب شاعر »

ولكن صديقنا الايطالي كان يخالف هذا الرأي فيقول أن

السويسرى تنقصه الرقة ، وذلك لأن الشعب السويسرى لم يكن يوما من الأيام شعباً أرستقراطياً ، بل كان دائماً نفعياً بحكم موقعه الجغرافى ! .
و كنتُ أشعر أن دينز ترتاح لوجودها بين تلك الجماعة حتى لا أفرد بها ، لأن معاشره الناس فى مثل هذه الظروف مسعفة للقلوب الدامية ..

قررنا ذات يوم تسلق الجبل المعروف «بالدان دى مدى» المطل على مونترو ، فذهبت مبكراً فى صباح ذلك اليوم الى حجرة دينز لأعطيها فوجدتها حالسة الى مقعد فى شرفة الحجرة فاستعجلتها اللبس حتى لا تنقطع عن جماعتنا الذين كانوا ينتظروننا فى ردهة الفندق .. فظفرت الى دينز نظرة لن أنساها ما حييت لما اشتملت عليه من الرقة والحنان وقالت : أنى بردت ليلة أمس فيحسن بى ملازمة الفندق ، فقامت لها : إذن سأبقى معك ، والآن سأنزل لأعتذر لأصدقائنا فابتسمت وقالت : كلا ! بل يجب أن ترافقهم كما تقضى به اللياقة ، أما أنا فسامضى الوقت فى مطالعة هذه القصة ، وأرتنى فى يدها كتاباً لمراسل بريثو .. فلم ألح عليها وانصرفت ..

وعند ما عدنا في المساء الى الفندق ، بحثت عن دبير في شرفة
 الفندق الكبرى حيث اعتادت الجلوس فلم أجدها ، فوسعدت الى
 حجرتها عساها تكون آخذة في الاستعداد للعشاء .. طرقت الباب فلم
 يجبني أحد فدفعته ودخلت فاذا الحجر خالية وليس بها شيء من
 متاعها ، ثم ما لبث نظري أن وقع على رسالة منها باسمي موضوعة
 على مائدة التواليت فتذاتها في اضطراب شديد إذ هي رسالة الفراق
 « الكلاسيك » لاشك ، فقصفت الغلاف وتلوت :

« عزيزي رينان

نعم وقع الأمر الفظيع ، الأمر الذي كنت تحذرنه منذ لقائنا
 بحديقة الكسمبور ، نعم لقد بعثت جبي القديم ، بعثت تلك البائسة
 البائسة التي غنت في متهى « القمار » بمونارتر تلك الاغنية المروية :
 « ما تعطيني أيتها الحسنة ليد عليك حبيبك ، أعطى قرسي ،
 باريز ، سان دني الخ . » نعم ان نبرات صوت هذه المغنية الشجية
 نزلت في تلك الليلة الى أعماق قلبي فأدمت ثانية التام جرحه
 الحديث ، ساحني يارينان على ما اسببه لك من حزن جديد . ومع

ذلك لقد كنت صادقة في حبى لك حتى تلك الليلة المشؤومة التى
نُعت فيها حبى القديم . فعلتُ كل ما فى استطاعتى لأنسى ذلك
الرحل والكمى أخفقت . . كم قد تعذبت من أجل ذلك ، ومن أجل
ما سببته لك أمت من الألم ، أنت أنمل من عرفتُ من الرجال خلقاً ،
لن أنسى لك أياديك مدى حياتى وعنايتك بى وبوجه خاص أشكر
لك التسامح وحفظك السر حينما شعرتُ بالحقيقة المرة . .

سامحنى يار ينان لن أستطيع أن أقاوم بعد ، سأرحل الى انجلترا
حيث وجدت وظيفة رفيعة لاحدى السيدات النزيلات . . كنتُ
فكرتُ فى دخول الدير ولكنى عدلتُ عن ذلك لأن حياة الدير
الهادئة الساكنة لا تساعد المرء ابداً على نسيان همومه وأشجانه . .
أرجو أن لا تحاول رؤيتى . . سامحنى يار ينان وفى دمة الله ! دينز ،
لذلك اذن كانت، دينز ترمقنى فى ذلك اليوم بعين العطف
والحنان !

وقد سافرت فى نفس الليلة الى باريز حتى أهرب من الاستئالة
المؤلة التى سوف يوجهها الىّ أصدقائنا عن تغيّب دينز ! وهكذا

أقتل نفسي في القطار اذ كان صوت احتكاك القضبان يصافيني وكأنه يصبح بي « ددير ، ددير ، ددير . . . » حاولت ان التقي بنفسى من النافذة ولكنى حذفتُ مع الأسف ، لذلك أعجب من أمر أولئك الذين يقولون ان الانتحار ضرب من الخور !

ثم سكنت رينان ملياً وأخذ ينظر من النافذة الى السماء نظرة حائرة كأنها كان يبحث في ذرقها عن ددير وبعد لحظة قطعناها في سكوت عميق قال بصوت خافت : ها هي قصتى ! وكانت وجهه سائحاً في السموع . .



قصيتُ بعد ذلك وقتى كله في باريز بصحبة رينان ، وكنت أحى مثله - لكى الهية - حياة المرح المستمرة المتعبة . .

ثم وردنى ذات يوم تلغراف من أسرقى « بنيس » تدعوى لقايلتها فيها ، وكانت قدمتها من مصر ، فعرضتُ على رينان أن يصحبنى في هذه الرحلة ، فأبى وقال ان نفس مدينة هادئة لا توافق أعصابه المتهيجة خصوصاً أن فصل الريفيرا الصاحب كان وقتئذ لم يبدأ بعد . .

ثم سافرتُ بعد أن وعدته أن أعود اليه قريباً . .

وفيا أنا أطلع صحف الصباح ذات يوم في نيس وقع نظري فجأة على هذا الخبر الصاعق « وَجَدَ الشاب الرشيق رينان من .. المعروف جيداً في أوساط اللهو الباريزية ، ومقاهيها الليلية ، ميتاً هذا الصباح في سرير نومه وكان قد تناول خطأ كمية كبيرة من دواء منوم »
 فهل حق ما نشرته الصحيفة ؟ وهل أصدق أن صديقي رينان مات نتيجة خطئه ؟ ؟

كرّمه ابن هاني في نوفمبر سنة ١٩٣٢



